دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	لغة الإدارة
المصدر:	الإدارة - مصر
المؤلف الرئيسي:	الشافعي، محمد يوسف
المجلد/العدد:	مج 17, ع 4
محكمة:	لا
التاريخ الميلادي:	1985
الشهر:	أبريل
الصفحات:	56 - 65
رقم MD:	223713
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	EcoLink
مواضيع:	اللوائح الإدارية، الإدارة العامة، الإسلام والإدارة، التنظيم الإداري، النظم الإدارية، القرارات الإدارية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/223713

© 2016 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

لغة الإدارة

د. محمد يوسف الشافعى

عند قراءة هذا العنوان يثور فى ذهن القارىء تساؤل : هل للادارة لغة ؟

واذا كانت الاجابة : بنعم ، فمؤدى ذلك أن تتعدد اللغات لكل اغراض الحياة، فيقال للتجارة لغة ، وللأدب لغة ، وهكذا.

واذا كانت الاجابة بلا : فكيف يبرر هـذا الاختلاف الواضح فى لغة التخاطب ومكاتبات الدواوين وكذلك فى مجال السياسة والحكم وفى كل مجال من مجالات الحياة .

اذا لابد من تحديد ما هو المقصود باللغة ؟

للأستاذ / محمد يوسف الشافعى

« المدير العام بالجهاز المركزى للتنظيم والادارة »

● اللغة هى أداة التعبير عما يجول بالخاطر، أو هى التصوير البين لما يجول فى النفس والمظهر المادى لخوالج الفكر وسبحاته .

ان المتكلم بلغة ما يعبر عن تجاربه الحسية والمعنوية بالألفاظ التى تم الاصطلاح عليها لهذه المعانى والمحسوسات بحيث يفهم الناس عنه ويوصل تجربته الحسية والمعنوية الى من حوله.

وبما أن ماديات الحياة لأمة ما وكذلك معنوياتها متعددة متشعبة لذلك يتسع مجال التعبير وتتنوع طرائقه وتختلف قدرة الأفراد فى استعمال اللغة تبعا لثقافتهم وخبرتهم وتبعا للمجال الذى يتحدثون فيه .

● فللأدباء طرائقهم واسلوبهم فى تركيب العبارة واختيار الألفاظ الموحية والمعبرة والتى تتصل بالوجدان والشعور وتعبر أصدق تعبير عن تجربة نفسية أو اجتماعية للأديب .

وللعلماء طرائقهم واسلوبهم فى وضوح الألفاظ واختيار المعبر أصدق تعبير وأدقه والذى يتصل

بالحقائق ويعبر عنها تعبيرا واقعيا لا يجنح الى الخيال .

وللقادة ورجال السياسة والادارة والحكم طرقهم وأساليبهم فى اختيار وتركيب الجمل التى تعبر عن قيادتهم وسياستهم تجاه الأمة .

اذا هناك طرق مختلفة للتعبير اللغوى تختلف باختلاف الأشخاص ومجالات الحياة وهذا سر دقيق من أسرار اللغة .

اذا نستطيع أن نقول أن اللغة تعبير عن مجالات الحياة المختلفة التى يعيشها الانسان داخل اقليم جغرافى أو داخل الأمة التى تشاركه اللغة التى يتحدث بها ، وأن هناك أساليب وطرقا مختلفة للتعبير عن كل نوع من النشاطات الانسانية التى يمارسها الفرد وليست لغات متعددة لكل هذه النشاطات .

واذا أطلقنا على الأسلوب الخاص بالتعبير عن نشاط فئة معينة من فئات المجتمع لغة من باب اطلاق الكل على الجزء عند ذلك تكون هناك لغة للادارة ولغة للتجارة ولغة الحديث العامة أو ما يطلق عليها اللغة العامية وهكذا .

ويهمنا فى هذا المقال أن نبرز أسلوب التعبير عن النشاط السياسى والادارى للدولة وأن يطلق عليها جوازا لغة الادارة ، وهذه اللغة الادارية قد صاحبت نشأة الدولة الاسلامية من بداية هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينه المنورة ثم استمرت طوال فترات الدولة الاسلامية فى عصورها المختلفة الى الآن ، وهذه اللغة الادارية أو لغة الادارة مرت بصراعات مختلفة مع لغات أخرى تخص أمما بلغت درجة من التقدم بالنسبة لزمنها واستطاعت أن تتغلب على كثير من اللغات السامية وعلى اللغة القبطية والبربرية وغيرها من اللغات فى آسيا وأفريقيا وجزء من أوربا أيام الأندلس .

● ولغة الادارة فرع من لغة الكتابة أو الفصحى تتشعب الى شعب مختلفة تبعا لاختلاف الفن الذى تستخدم فيه مثل القصة — الشعر — القانون — التدوين العلمى — الادارة والسياسة وفنون الحكم — ... ذلك لأن لكل فن من هذ ه‌الفنون طبيعته وأغراضه ومبلغ نشاط المشتغلين به وما يخترعونه فيه من أساليب واصطلاحات وما ينقلونه اليه من اللغات الأخرى من مفردات وأفكار ، وكلما تقدمت الدولة واتسعت ميادين النشاط بها وكثر عدد المتخصصين فى كل مجال اتسعت مسافة الاختلاف بين التعبير عن كل من الفنون السابقة حتى يمكن أن يكون لكل فن طريقته فى التعبير وأسلوبه الخاص به وتراكيب عباراته ومفرداته ومعاينته وطريقة معالجته للحقائق ، فتصبح لغة كل فن أشبه بلغة مستقلة عن الأخرى وبمجرد سماع عبارة ما يستطاع بسهولة معرفة الفن الذى تتصل به فعلى ضوء مفرداتها وأسلوبها وتراكيبها وطريقة ابانتها عن الحقائق يحكم السامع أن هذه لغة القصة أو المقال أو الادارة .

● ولغة الادارة نظرا لارتباطها برجال الدولة والحكم وكذلك بالنشاط الحضارى للدولة تختلف باختلاف مجالات التعبير وباختلاف رجال وحظهم من المحصول اللغوى واختيار الألفاظ وسلامة التراكيب .

واللغة كائن حى متطور يمر عليها زمن تصل فيه الى الذروة وزمن ضعف وانهيار وذلك لضآلة حظ المتكلمين بها من الثقافة والمعرفة والقدرة على نقل أفكارهم وآرائهم فى السياسة والحكم والادارة . ومن مقتضى هذا التطور أن تختلف لغة الادارة من حيث التراكيب وسلامة اللغه ومن ناحية القواعد والتعبير عن الأفكار فى كل عصر من عصور الدولة الاسلامية المختلفة وذلك لاختلاف الادارة فى كل عصر من عصور الدولة الاسلامية المختلفة وذلك لاختلاف رجال الادارة فى كل عصر واختلاف ثقافتهم وتمكنهم من ناحية البيان والقدرة على استعمال اللغة والوصول الى المعنى المراد .

لغة الادارة فى العصر الاسلامى الأول :

ان الادارة من الموضوعات التى تحدث عنها التاريخ الانسانى على مر العصور فلقد تحدث العديد من الكتاب عن التنظيمات العسكرية والدينية والحكومية فى الدول القديمة فقد قامت فى الدولة الفرعونية والرومانية واليونانية القديمة تنظيمات عسكرية على درجة عالية من الكفاءة ، واهتم بالادارة والفكر الادارى عظماء الفكر الانسانى من قديم الزمن فلقد عرف سقراط الادارة بأنها حرفة منفصلة عن المعرفة والخبرة الفنية .

واهتم الفرس بتنظيم دواوين الدولة وكان للفرس ديوانان أحدهما ديوان الخراج والآخر ديوان النفقات فكل ما يرد للدولة فالى ديوان

الخراج ، وكل ما ينفق ويخرج ففى ديوان النفقات وكان عندهم نظام لشغل الوظائف كما كانت وظائف الكتاب وهم مستشاروا الملك مرتبة وموصفة توصيفا دقيقا بالنسبة لعصرهم .

ولقد تأثر العرب بالادارة الفارسية واقتبسوا كثيرا من نظمها وان كانوا قد برعوا فى تعريبها وملاءمتها للبيئة العربية والدولة الاسلامية بعد اثراتها بالفكر الادارى الاسلامى . ولقد وضع الرسول صلى الله عليه وسلم اللبنة الأولى للادارة الاسلامية مهتديا بتوجيهات القرآن العظيم ، فآخى بين المهاجرين والأنصار ليوطد دعائم الأمن فى المجتمع الجديد فى الداخل ثم بدأ فى تأمين المجتمع من الخارج فعقد معاهدة صداقة وتحالف مع اليهود الذين كانوا يجاورونه فى المدينة وخارجها . وعندما انتشر الاسلام فى ربوع الجزيرة العربية أرسل الى القبائل من يعلمهم القرآن وأمور دينهم ، ثم ولاة فى الأقاليم المتطرفة كاليمن وغيرها وكان الرسول عليه السلام يحرص كل الحرص على تولية خيار المسلمين وأفصحهم حديثا وأشدهم دينا وأمانة . وكانت لغة الادارة فى ذلك العصر واضحة المعنى سليمة التراكيب قوية العبارة شديدة الأسر تصل الى العقل والقلب معا والمثال التالى يوضح ذلك ، بعث عليه السلام معاذا الى اليمن فقال له : انك تقدم على قوم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم عبادة الله تعالى فاذا عرفوا الله تعالى فأخبرهم أن الله فرض عليهم زكاة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم فان هم أطاعوا لذلك فخذ منهم ... وكذلك كانت رسائله الى الملوك والأمراء يدعوهم فيها الى الاسلام مملوءة بشحنة من الفعالية غاية فى الابداع والفصاحة ولا عجب فى ذلك فقائلها أفصح العرب .

ثم كانت خطبة أول خليفة فى الاسلام عبارة عن قول رائع وحكمة مضيئة وعبارة مشرقة تعيها العقول والقلوب وترددها الأجيال كمثال للادارة الرائدة البالغة الذروة فى العدل والانصاف والتسوية بين الرعية ، وكانت رفعة الدولة الاسلامية فى عهد أبى بكر تشمل جزيرة العرب فقسمها الى ولايات وجعل على كل ولاية عاملا من خيار المسلمين فصاحة ودينا وأمانة وقدوة حسنة وكذلك فعل عمر بن الخطاب وكانت تعليماته الادارية الى عماله تعكس فصاحته وتمكنه من ناحية العبارة وقوتها فمن وصاياه لعماله قوله « انى لم استعملكم على أمة محمد على أشعارهم ولا على أبشارهم » « اى لتضربوهم على رءوسهم أو وجوههم » وانما استعملتكم عليها لتقيموا بهم الصلاة وتقضوا بينهم بالحق وتقسموا بينهم بالعدل ولا تجلدوا العرب فتذلوها ولا تجمروها « تؤخروها فى دار الحرب » فتفتنوها ، ولا تغفلوا عنها فتحرموها .

ويعتبر عمر أول من أنشا الدواوين فى الدولة الاسلامية وديوان الانشاء هو أول ديوان وضع فى الاسلام وكانت لغة الديوان تختلف باختلاف البلاد التى أنشىء فيها فدواوين الشام لغة الكتابة فيها بالرومية ودواوين العراق بالفارسية ودواوين مصر بالقبطية ، وذلك لأن هذه البلاد لم ينتشر فيها الاسلام بعد ولغة الديوان من ناحية الأوامر الادارية والقوانين التى يحتاجها الناس فى التعامل معهم تهم السواد الأعظم من هذه البلاد فلذلك جرت بلغتهم حتى يفهما الناس وكان الكتاب من أهل البلاد — ورؤساهم ممن يفهمون العربية الى جانب اجادتهم التامة للغة بلادهم .

أما لغة الادارة فى الجزيرة العربية والبصرة والكوفة ودمشق والعواصم التى يقيم بها أغلبية من العرب فهى العربية الفصحى فى أعظم صورها اشراقا وجزالة لفظ وشدة أسر ومتانة تراكيب .

لغة الادارة فى العصرين الأموى والعباسى :

انتقلت دار الخلافة أو عاصمة الدولة الاسلامية من المدينة الى دمشق عاصمة الأمويين وكان النظام الادارى استمرارا للنظم السابقة لم يغير فيه الا ما اقتضته الحاجة وكانت لغة الادارة على عهدها السابق المشرق واستطاعت أن تترجم عن رغبات الأمة وعن حضارة الأمم المفتوحة وأن تتسع عباراتها وتتنوع تعبيراتها وألفاظها لتبين كافة المعاملات ، وكان الخلفاء الأمويون يعنون بتجويد لغة الادارة وفصاحتها والا يخالطها اللحن أو الخطأ واذا أخطأ كاتب كانوا يبعدونه عن الديوان حتى لا تفسد لغته .

أخطأ كاتب الديوان فى عهد معاوية فكتب (ثلاثة دنان) فقرأها زياد فقال من كتب هذا فقيل له هذا الفتى فقال اخرجوه من ديواننا لئلا يفسده امح هذا واكتب ثلاثة آدن) ، ثم نقلت دواوين الانشاء فى العراق وغيره الى العربية سنة ٧٨هـ ، فى زمن عبد الملك بن مروان.

ويعتبر عمر بن عبد العزيز أفصح خلفاء بنى أمية فى لغته الادارية وفى توقيعاته على ما يصل اليه من الولاة ، كتب اليه عامل يطلب منه قراطيس (أوراق للكتابة) فوقع على الطلب للوالى : رقق قلمك وأقلل كلامك تكتف بما عندك من القراطيس عبارة موجزة قلدها الولاة والخلفاء من بعده .

وانتشرت اللغة العربية فى الدولة الاسلامية كلها فى أواخر الأمويين والعصر العباسى وأقبل أهل البلاد التى فتحت على تعلم العربية وأصبحت لغة الادارة فى كل أقاليم الدولة الاسلامية .

أما الخلفاء العباسون فكانت لغتهم الادارية هى العربية الفصحى جزالة لفظ ووضوح معنى وظهر فى لغة الادارة فى عهدهم أدب التوقيعات وهى عبارة محكمة شديدة الأسر موجزة اللفظ غزيرة المعنى تصل الى عقل وقلب القارىء سهلة الحفظ يتمثل بها فى المواقف المتشابهة .

ومن اشتهر عنهم ذلك من الخلفاء العباسيين الرشيد وكتابة من البرامكة ، ومن ذلك التوقيعات الآتية :

أحب الرشيد تقليد جعفر الخاتم وكان مع الفضل أخو جعفر ، فقال لكاتبه أريد أن أدفع بهذا المعنى توقيعا لا يجرى مجرى العزل للفضل فكتب عنه للوزير يحى بن خالد البرمكى (والفضل وجعفر أولاده) أن أمير المؤمنين راى أن ينقل الخلافة من يمينك الى شمالك ، وكان جعفر بن يحى من أحسن الناس نطقا وجزالة لفظ وعباراته فى وضوحها ورقتها تفهم من تصل اليه ومن بليغ توقيعاته وقع على كتاب لعلى بن عيسى وكان قد كتب اليه يعتذر عن أشياء نسبت اليه (حبب الينا الوفاء الذى أبغضته وبغض الغدر الذى أحببته فما جزاء الأيام أن تحسن ظنك بها وقد رأيت غدراتها ووقعاتها يعانا وأخبارا والسلام) .

ووقع على رقعة لمحبوس فى اطلاق سراحه (العدوان أوبقه والتوبة تطلقه) .

ووقع الرشيد على مظلمة يطلب صاحبها العفو (قضى الأمر الذى فيه تستفتيان) ومن توقيعات المأمون الادارية على مظلمة فى حق أحد الولاة كتب اليه (كثر شاكوك وقل شاكروك فأما اعتدلت واما اعتزلت) وكتب بعض رؤساء الجند الى المأمون أن الجند شغبوا ونهبوا فكتب اليه « لو اعتدلت لم يشغبوا ولو وفيت لم ينهبوا » .

لقد وصلت لغة الادارة فى العصر العباسى الأول الى الذروة فى سلامتها واستمالتها لقلوب الرعية وحرصها على الفصاحة والبلاغة وابانتها عن حاجاتهم من الدولة وما يطلبه الحكام منهم فى عبارة بليغة محكمة وان كانت تميل الى الايجاز غير المخل بالمعنى المراد منها .

ثم بدأت لغة الادارة فى التأخر وشاب عباراتها اللحن وذلك لضعف العنصر العربى فى قيادة الدولة الاسلامية وتغلب عناصر أخرى غير عربية على الخلافة وعلى الولايات المكونة للدولة الاسلامية وأخذت الألقاب تكثر فى الرسائل الادارية فى ذلك الكتاب والأمراء بالنسبه لرسائلهم للخلفاء والوزراء مثل « الى الحضرة الشريفة — والحضرة العالية والحضرة السامية وذلك بالنسبة للوزراء وكنوا عن الخفاء بالموقف الأشرف المقدس » ومالت العبارة الادارية الى المبالغة فى التبجيل وخلع الأوصاف العديدة على وزراء الدولة وأكثر منها غلوا بالنسبة للخلفاء فظهر فى لغة الادارة الآتى : ولى الدولة ، وعميدها وسيفها ومعزها وركنها وتاج الملة وفخر الدولة الى غير ذلك .

وعندما استولى التتار على بغداد قضوا على البقية المضيئة من الفصاحة اللغوية فى المعاملات الادارية واستغل الولاة بأغلب ولايات الدولة الاسلامية وتكونت أكثر من دويلة وقد حافظ ولاة مصر على لغة الادارة من حيث سلامة الأسلوب وقوته وفصاحته وان كانت العبارة الادارية بدأ يكثر فيها اللحن وذلك لضعف كتاب الدواوين وخاصة ديوان الانشاء وذلك لأن لهذا الديوان لغة نعرض خصائصها فيما يلى :

لغة الدواوين :

يقصد بها اللغة الرسمية للدولة والتى تستعمل فى أغراض الحكم واصدار القرارات وسن القوانين والتى يخاطب بها الحاكم المحكومين ، ولذلك نجد لها رسوما محددة بعيدة عن الاجتهاد الشخصى أو ما يسمى بالأدب الحر ، فلا يمكن لكاتب الديوان أن يصوغ القوانين وفقا لهواه وأغراضه أو تبعا لنشاطه الذهنى بل أن المعانى

مقررة ومحددة وكل نشاطه محصور فى اختيار اللفظ المعبر عن المعنى المراد والذى لا يتحمل التأويل أو التفسير الذى يبعده عن هدفه المقصود .

ومجال لغة الدواوين سياسة الدولة وتوطيد الحكم ودعم أركانه وضبط المصالح العامة وسن القوانين والتشريعات للنظم الاجتماعية والسياسية واصدار القرارات المنظمة للعمل أو التى تكشف عن حقوق المواطنين تجاه الدولة وحقوق الدولة تجاه العاملين بها والمواطنين .

أن هذا المجال لا يخضع للانفعالات أو العواطف وليس مجالا فسيحا تتبارى فيه الانفعالات النفسية الجياشة ، كما أن ألفاظه يحكمها الواقع الذى تعبر عنه دون أن تترك مجالا للتأويل الذى يجر الى التضارب والغموض، ولذلك امتازت عباراته بالدقة والواقعية والتسلسل المنطقى ، وطبيعة هذا المجال تملى على الكاتب اختيار عبارات ذات مراسم خاصة وتقاليد معينة وقواعد شكلية تسيطر على الكاتب سوا فى الأسلوب أو فى صيغة الخطاب مما يؤدى الى فرض قيود على نشاط التفكر والافتنان فى العبارة ، فلرئيس الدولة مراسم شكلية يختصه بها العرف الدولى فلا تخاطبه الدول الا بواسطة رؤسائها وبألفاظ مختارة وفقا للتقاليد والمراسم ، وهكذا يتواضع العرف على صيغ تقليدية خاصة لكل مناسبة ، وهذا من شأنه أن يعطل ملكة الابتكار والعزوف عن التجديد لذلك تتصف بالرتابة وفى بعض الأحيان يغلب عليها الجمود والتزمت وحفظ ألفاظ وعبارات يتوارثها المشتغلون بهذه الصناعة أو الذين يعملون فى هذا المجال .

الا أنه فى بعض الأحيان قد يخفف عن هذا التزمت والجمود اذا كان الحاكم يدعو لمذهب فكرى معين أو سياسة تعتنقها الحكومة وتروج لها وبالتالى تتحرر من القيود وتأخذ العبارات أسلوبا جذابا يؤثر فى النفس ويستميل العواطف والوجدان .

لغة الادارة فى العهد العثمانى والقرن التاسع عشر :

منذ أن خضعت مصر لسلطان الأتراك عام ١٥١٧م وهى تئن من وطأة الاحتلال التركى الذى محا شخصية مصر وأصبحت ولاية تحت السيطرة العثمانية يحكمها وال من قبل السلطان العثمانى تعاونه بطانة تركية يختارها .

وغدت مصر تدور فى فلك الامبراطورية العثمانية فلم يكن لها علم خاص بها أو شخصية قومية حرة بل العلم العثمانى هو علم البلاد واهلها رعية عثمانية ، ولقد نهب العثمانيون كنوز مصر وخيراتها حتى أبواب المساجد وأعمدتها الرخامية نقلت الى الاستانة ، وكان هم الادارة التركية استنزاف خيرات مصر وموارادها باعتبار أن النصر الحربى يكسب الدولة المنتصرة حق الفتح وبمقتضاه تصبح الدولة وما عليها من أنفس ومتاع غنيمة حربية للسلطان الفاتح ومن حقه أن يدين له الكل بالولاء طوعا أو كرها ، ولذلك كان النظام الادارى كل همه توطين أركان هذا الفتح ونهب خيرات البلاد باعتبارها حقا خالصا للسلطان العثمانى المنتصر .

وكان النظام الادارى فى هذا العصر يتكون من الوالى ويصدر له فرمان من السلطان التركى عاما بعد عام وتتلخص سلطاته فى تلقى الأوامر من الباب العالى ويشرف على تنفيذها والى جانب الوالى كان الديوان ، ويشكل من (الأوجاقية) أى ضباط الأوجاقات ، وهى فرق الحامية التركية ، وكانت له سلطة معارضة الوالى فى سياسته ورفض قراراته وايقاف تنفيذها بل وله طلب عزل الوالى اذا ما نشب خلاف بين الوالى والديوان . ثم استبدل الديوان بديوانين هما :

(الديوان الكبير) ويضم مندوبين عن كل أوجاق وهم (الأغا) وهو قائد الحامية التركية. (والدفتر دار) وهو مدير الشئون المالية و (الرزنامجى) وهو حافظ السجلات بالاضافة الى أمير الحج وقاضى مصر التركى ورؤساء المشايخ ، والأشراف ورؤساء المذاهب الأربعة — ولم يكن هذا الديوان يعقد الا نادرا وبأمر من الوالى وكان له البت فى مهام الأمور .

ثم (الديوان الصغير) ويطلق عليه لفظ الديوان ويتكون من (كتخدا باشا) أى وكيله والدفتر دار والروزنامجى ومندوب عن كل أوجاق من أوجاقات الحامية وكبار الضباط والشاوويشان بالاضافة الى ذلك كان هناك المماليك وكانت فى أيديهم الوظائف المدنية والمالية الرئيسية وقد استغل سلطاتهم بعد ذلك

وأصبحت المناصب الكبرى فى البلاد موقوفة عليهم ، والى جانب هذا الثالوث — الوالى — الديوان — المماليك — فرق الحامية التركية التى بلغ من سلطانها الاشراف الفعلى على الجهاز الادارى بأسره وعلى نشاط الحكومة المحلية بمختلف عناصرها . وكان أوجاق الأسباهية (الخيالة) يشرف على التصرفات الادارية ويعاون رجالة الباشا وحكام الأقاليم ولهم سلطة التدخل فى صميم شئون الادارة حتى أنه لم يكن أنه لم يكن يتم ابرام شأن من شئون الدولة الا بموافقة كبار رجاله المقيمين بالعاصمة أو معاونيه فى ربوع الأقاليم(١) .

وكان قاضى مصر أو (قاضى عسكر أفندى) تركيا يعاونه قضاة من الأتراك ويستعينون بمترجمين ثم احتل المصريون مراكز القضاة بالتدريج .

وكان هدف الباب العالى فى توزيع سلطات الحكم على هذا النحو تقييد سلطان الوالى وتجنب تركيز السلطة فى يد واحدة ضمانا لسيطرة السلطان على البلاد وخضوعها لمشيئته وحفاظا للتوازن الادارى .

ولقد احفظ اتراك وحدتهم العنصرية المترفعة عن الشعب ، ولما أراد أحد ولاة مصر (عويس باشا) أن يجند المصريين فى الجيش ثارت عليه الحامية التركية وتطاولوا عليه وأهانوه ، فلم يسعه الا النزول على رغبتهم مكرها .

وبمرور الزمن عظم نفوذ الجند وضعف الولاة واشتد النزاع بينهم ، فانتهز المماليك الفرصة ووحدوا صفوفهم تحت أمرة زعيمهم (شيخ البلد) حاكم القاهرة حتى تولى مشيخة البلد على بك الكبير فنادى بنفسه سلطانا على البلاد ولكنه هزم على يد محمد بك أبو الذهب بعد أن استماله السلطان العثمانى اليه ثم تولى مشيخة البلد ابراهيم بك ومراد بك من زعماء المماليك فأرهقتا التجار بالضرائب وكانت تصرفاتهما وسوء ادارتهما سببا فى تشجيع الفرنسيين على احتلال مصر . ودخل (نابليون) مصر ولم يلق مقاومة جادة من المماليك وتم له احتلال البلاد .

لقد امتاز العصر العثمانى بالفساد والظلم وانتشار الجهل والرشوة فأغلقت المدارس ودور العلم وخمدت الفرائح وانحط شأن اللغة وفارقها ضياؤها المشرق وأسلوبها الأخاذ واختلطت بالعامية والتركية ولم يبق من منارات العلم واللغ غير الأزهر وبعض المكاتب التى تعلم الصبيان القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم واقتصرت رسالة الأزهر على حفظ التراث الدينى والمتون اللغوية فى اطار جامد عتيق لا أثر فيه للابتكار أو التجديد أو الرونق اللغوى الأخاذ .

ولقد فرض العثمانيون لغتهم التركية على الدواوين خاصة ما يتصل منهما بالوالى التركى وكبار معاونيه ، حيث كانت لغتهم التركية وبها يتراسلون مع السلطان العثمانى وهى محور أحاديثهم وبها ترد من تركيا التعليمات الرسمية والأوامر العالية ، أى أن لغة الادارة العليا كانت التركية .

أما اللغة العربية وهى لغة الشعب فى مصر فقد كان لها حظ فى الادارة خاصة ما يتصل منها اتصالا مباشرا بأمور الشعب مثل القضاء الشرعى والجبابة وشئون الدين وكان للأزهر دور بارز فى الحفاظ على اللغة العربية فى هذه الظروف البالغة والقسوة بالنسبة للمتحدثين والمتعاملين والمؤلفين باللغة العربية وقد وقف الأزهر سدا منيعا نحو طغيان اللغة التركية على اللغة العربية خاصة وأن اللغة التركية هى لغة الحكام والمماليك ومن بيدهم أمور الدولة ولكن الأتراك كانوا مسلمين ويجلون الأزهر ويبدون نحو علمائه التوقير والاجلال ولذلك أدى الأزهر دوره فى هذا الصدد مشمولا برعاية حكا مالدولة واحترامهم .

على أن استعمال اللغة العربية فى الادارة فى ذلك العهد انحصر فيما يطلق عليه الادارة المباشرة التى تعالج الشئون المحلية والمرافق العامة وما يريده الحكام من المصريين والتى لابد أن تكتب بلغة يفهمها الشعب وان كانت قد دخلتها شوائب كثيرة من العامية والتركية وكادت تبتعد عن اللغة الفصحى وكثرت فيها الاصطلاحات الادارية التركية والألقاب التركية وسنورد فيما بعد أمثلة لهذه اللغة والتى هى مزيج من العامية وبعض التركية ذلك لأن الوظائف التى تتصل اتصالا مباشرا بجمهور المواطنين كان يتولاها الوطنيون ولذلك كانت لغتها العربية غالبا .

---

(١) لمزيد من التفاصيل فى هذا الموضوع يرجع لكتاب « لغة الادارة العامة فى مصر فى القرن التاسع عشر » للأستاذ / عبد السميع سالم الهوارى .

أما وظائف الادارة العليا أو الوظائف الرئيسية فكان يتولاها الأتراك أو من ينتمى اليهم ولذلك كانت لغتها الغالبة هى التركية فان أوثر عنهم بعض الوثائق أو القرارات العربية فستجد أن مصدرها وظائف موروثة عن الادارة المصريه قبل الفتح العثمانى .

وتتركز الوظائف الرئيسية فى العاصمة ويهمنى أن أعرض على القارى ء الكريم الألقاب التى كانت مستعملة فى ذلك العهد ، فكان الوالى يلقب (بالباشا) وهو لقب تركى وكان يعين بمرسوم همايونى — سلطانى — يسمى — فرمانا — أما نائب الوالى فكان يسمى (كتخدا باشا) كما كن (أمير الحج) و (شيخ البلد) يتولاها موظفون من المماليك وكانت السلطة الادارية والعسكرية قسمة بينهما . وقائد الحامية التركية يلقب (بالأغا) وتتكون الحامية التركية من عدة فرق (أوجاقات) ويسمى رجالها (أوجاقلية) والأقدم منهم يسمى (باش اختيار) والذى يحمل الى الوالى قرار العزل يسمى (أوطة باشى) والعامة تسمية (بأبى طبق) لأنه كان يضع على رأسه غطاء أسود عريض الحافة يشبه الطبق ، وكان المسئول عن الأمن فى القاهرة يسمى (أغا مستحفظان) وضباط الشرطة يسمون (بأوطة باشيه) والموكل بدار سك النقود يسمى (أمين الضربخانة) والمشرف على شئون المبانى الأميرية (معمار — جى باشى) وكانت الدولة مقسمة الى (سنجقيات) وذلك فيما عدا العاصمة والثغور (الاسكندرية ودمياط والسويس ورشيد) ويديرها مديرون من المماليك وهم أما بيكوات من السناجق أو كشافا والبكوات يديرون المديريات الكبرى (السناجق) والكشاف يدير مديرية أصغر وللسنجق أن ينيب عنه فى حكم سنجقته أو فى جزء منها كاشفا ، وكان يشرف على أعمالها وادارتها (الشوريجية) العمد حاليا . ويتولى الملتزم شئون الضرائب المفروضة على الأطيان الزراعية فى قرية أو مجموعة من القرى . أما السلطة القضائية فكان يتولاها قضاة من رجال الشرع من غير الأتراك ثم تولاها بعد ذلك ثم مصرت بالتدريج . وهكذا انغلقت اللغة التركية واصطلاحاتها فى شئون الادارة فى مصر فى كافة المرافق ووقفت اللغة العربية أمام اللغة التركية عاجزة ترضى بالقليل فى استعمالات الادارة حتى القليل منها تشوبه التركية المحرفة التى القت بحملها الثقيل على العبارة العربية خاصة فى أسلوب الادارة ذلك لأن اللغة التركية فقيرة فى مادتها فلجأت الى العربية المحرفة فى مجال الادارة وسياسة الحكم ولذلك بدت الرسائل الديوانية مهلهلة الأسلوب مفككة العبارة لا رابط بين معانيها حافلة بالأخطاء لا تفرق بين المذكر والمؤنث فى المخاطبة ، بينها وبين قواعد اللغة الفصحى عداء مستحكم . ولذلك كثيرا ما نجد فى المحررات الرسمية تعبيرات مبتذلة واشتقاقات فى غاية الغرابة فكان التعبير عن ميزانية التغذية فى المدارس مثلا (علايف التلاميذ) ونجد نصا فى قانون مجلس جمعية الحقانية الصادر فى ٩ شعبان سنة ١٢٦٠هـ فى المادة ١٦١ يتحدث عن عقاب من يقتل شخصا أو يتسبب فى قتله الآتى : (وانما كان ذلك ناشئا عن غشومية الفاعل) وفى تأليف مجلس الشورى من أعضاء هم رؤساء الدواوين — وزراء حاليا — ورد التعبير عن ذلك بالآتى : يختارون من أعضاء (ذات مقدار الكافى يصير انتخابهم من العبيد الذين مجربين الأطوار وأصحاب قابلية وليقة ومفهومية لدى ولى الأمر ، حكم الجارى بممالك أوربا ..) .

ويلاحظ فى هذه الصياغة — ركاكة العبارة مع وصف أعضاء المجلس بأنهم من العبيد مع أنهم يختارون من أصحاب المناصب العالية فى الدولة وذلك لأن الوالى التركى كان يعتبر جميع من فى البلاد عبيدا لسلطانه .

وهكذا نجد تهافت لغة الادارة وضعف تراكيبها مع بعدها عن سلامة القواعد وهذا يدل على استحكام الجهل وانعدام الثقافة لدى المشتغلين والقائمين على صياغة القوانين .

ثم فتح نابليون مصر وقد كانت الحملة الفرنسية تضم بجانب الجنود والقادة العسكريين مجموعة من العلماء فى مختلف العلوم والفنون وقد أسهم هؤلاء العلماء فى البعث الحضارى والثقافى لمصر وقد استعانت الحملة فى أداء رسالتها الثقافية ونشر قراراتها الادارية بمطبعة عربية تعتبر أول مطبعة يعرفها المصريون .

وكانت سياسة نابليون الادارية قائمة على الحرية الفردية وتطبيق مبادىء الثورة الفرنسية ولذلك كان حريصا على معرفة آراء المصريين وتحرى رغباتهم فيما يتصل بشئونهم الداخلية فكون مجالس استشارية من قادة الرأى فى مصر

على اختلاف طوائفهم وذلك للاستفادة من آرائهم فى الادارة الداخلية وفى تعيين كبار الموظفين وكان للفرنسيين ممثل فى هذه الدواوين ، والمشاهد أن الرأى كان للفرنسيين الا أن هذه الدواوين كانت نواة للشورى فى مصر وبث روح العزة واحياء الشخصية المصرية التى عسفت بها يد العثمانيين والمماليك زمنا طويلا ، وكان فى القاهرة ديوانان — الديوان الخصوصى — ويتكون من كبار المشايخ والتجار ولفيف من الأقباط والسوريين والانجليز والفرنسيين ، والثانى الديوان العمومى — واكثره من مشايخ الحرف ، وهكذا أسهم المصريون ولو بقدر فى حكم بلادهم وأصبح لهم صوت مسموع يستأنس به الحاكم فى ادارة البلاد ، وكان هدف الفرنسيين القضاء على مظاهر الادارة العثمانية ولغته الرسمية ع فأبعدوا العناصر التركية عن تولى الوظائف العامة واستبدلوا بهم عناصر فرنسية أو مصرية طبقا لسياسة مرسومة مع احتفاظهم بالادارة الرئيسية .

وكان من جراء ذلك أن أخذت اللغة العربية تزدهر فى السياسة العليا وأن تعتبر لغة ديوانية رسمية بجانب اللغة الفرنسية ولذلك كانت المنشورات الادارية تصدر غالبا باللغة العربية واللغة الفرنسية مجاراة للواقع ولكى تحيط الجاليات الأوروبية بهذه الأوامر والمنشورات الادارية .

وكانت لغة هذه الأوامر والمنشورات من المفروض أن تكون واضحة المعالم فى الفاظها رقيقة ولكن تجدها مبتداة بمراسم دينية وتبدأ بالبسملة ويتخللها الاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية وذلك لاستمالة قلوب المصريين والتأثير عليهم ومن هذه المنشورات المنشور التالى والذى أذاعه على المصريين بعد وصول الحملة الفرنسية الى الاسكندرية ونصه كما أورده الجبرتى :

بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله لا ولد له ولا شريك له فى ملكه .

من طرف الفرنساوية ، المبنى على اساس الحرية والتسوية — السر عسكر الكبير أمير الجيوش الفرنساوية بونابرت ، يعرف أهالى مصر جميعه أن من زمان مديد ، السناجق الذين يتسلطون فى البلاد المصرية يتعاملون بالذل والاحتقار فى حق الملة الفرنساوية ويظلمون تجارها بأنواع الايذاء والتعدى ، تحضر الآن عقوبتهم واحسرتا من مدة عصور طويلة هذه الزمرة المماليك المجلوبين من بلاد الأبازرة — من شعوب القوقاز — الجراكسة يفسدون فى الأقليم الحسن الا حسن ، الذى لا يوجد فى كرة الأرض كلها ، فأما رب العالمين القادر على كل شىء فانه قد حكم على انقضاء دولتهم ..) .

ويلاحظ فى هذا الجزء من المنشور بعض الشوائب التى تشوبه من كثرة الكلمات العامية وعدم مراعاة قواعد اللغة ، والمنشور كله يشوب أكثره اللحن وركاكة الأسلوب والاكثار من الكلمات العامية والبعد عن سلامة العبارة .

ثم نجد منشورا آخر أذاعه نابليون بعد ثورة المصريين عليه ونجاحه فى اخماد هذه الثورة ، وقد جاء فيه ما يلى :

(بسم الله الرحمن الرحيم ، من أمير الجيوش الفرنساوية خطابا الى كافة أهالى مصر الخاص والعام نعلمكم أن بعض الناس الضالين العقول الخالين من المعرفة وادراك العواقب ، سابقا أوقعوا الفتنة والشرور بين القاطنين بمصر ، فأهلكهم الله بسبب فعلهم ونيتهم القبيحة ، والبارى سبحانه وتعالى أمرنى بالشفقة والرحمة على العباد فامتثلت أمره ، وصرت رحيما بكم شفوقا عليكم ولكن كان حصل عند غيظ وغم شديد يحسب تحريك هذه الفتنة بينكم ...) .

ونجد أن هذا المنشور تقل فيه الكلمات العامية وقد حسن نسقه وان كان يمتلىء بالتمويه على المصريين ومحاولة استغلال العاطفة الى طاعة الفرنسيين .

الا ان الملاحظ أن لغة الادارة فى هذه الفترة قد بعدت عن تفاهة الأسلوب والاصطلاحات الدينية فيهم والرضا بالقضاء والقدر والاستكانة التركية وان كانت قد جاءت بدلها بتعبيرات عجيبة مثل اطلاق اسم (المشيخة الفرنسية) على حكومة الاحتلا لالفرنسى .

وقد يستقيم أسلوب العبارة الديوانية أحيانا وقد يتنافه أحيانا أخرى .

حتى جاء عصر محمد على ، الذى تناول الدواوين بالتنظيم والرعاية ولمست البلاد

نهضة ادارية واسعة وان كانت اللغة الرسمية مازالت التركية والعربية معا وكلتاهما تلقى العناية والرعاية من الدولة وقد تسبب ذلك فى اضعاف كلتا اللغتين وتداخلهما وترتب على ذلك أن نزل مستواهما الا أن اللغة العربية بدأت تنهض وترق عبارتها وتستوعب الحضارة الأوروبية التي نقلت الى مصر نتيجة لنشاط حركة الترجمة ولقد كان محمد على يؤثر التركية على العربية حتى أنه جعلها لغة التعليم الرسمية فى مبدأ الأمر ثم فرض عليه الواقع أن يتحول الى العربية وقرر أن تكون اللغة العربية فى المدارس المصرية لغة التعليم الأساسية بدلا من التركية

ولقد تأثر محمد على بالشخصية المصرية واهتم بأن يتعلم الأجانب الذين يشغلون مناصب فى الدولة اللغة العربية والمحافظة على الشخصية المصرية ولذلك بدأت الألفاظ التركية العديدة التى اقتحمت مجالات الادارة تختفى ويحل محلها الألفاظ العربية الفصيحة، فانتشرت كلمة محافظ بدلا من (أغا مستحفظان) ومدير ومديرية بدلا من (سنجق) و (سنجقية) وبدأ المجال يتسع أمام العربية لتأخذ حظها فى دواوين الدولة وقراراتها ومنشوراتها وان كان هذا يرجع الى المصريين الوطنيين الذين تقلدوا المناصب الرئيسية بعد زوال الحكم العثمانى ، وبعد أن لمس محمد على اخلاص المصريين وأنهم جديرون بالثقة وتحمل المسئولية الا أن هذا ينفى أن محمد على كان يصدر أوامر ادارية باللغة التركية تحمل قوانين للتعامل وانه كان حريصا على ترجمتها الى اللغة العربية ٥

وتحقيقا لذلك أصدر محمد على جريدة رسمية اسمها (جرنال الخديوى) عام ١٨٢٢ باللغتين التركيه والعربية ثم فى عام ١٨٢٨م أصدر الوقائع المصرية باللغتين العربية والتركية .

وفى عام ١٢٥٠هـ أسس محمد على « مدرسة ادارة الملكية » عداد الموظفين والمترجمين الذين يتولون وظائف الدولة وترجمة المؤلفات العلمية من الفرنسية والايطالية الى العربية والتركية — ونظرا لانفراد المصريين الأقباط بالمجال الحسابى والضريبى فكانت لغته هى العربية فقط .

وقد غلبت على لغة الادارة فى هذا العصر المبالغة فى القاب التفخيم والتعظيم وكان لكل والى القابه الكثيرة ومن الغريب أنها كانت عربية العبارة ، والموضوع باللغة التركية فمن الصيغ الرسمية للفرمانات العثمانية المرسلة الى محمد على ما يلى :

(دستور مكرم مشير مفخم نظام مدير امور الجمهور بالفكر الثاقب ، متمم مهام الأنام بالرأى الصائب ، ممهد بنيان الدولة والاقبال ، مشيد أركان السعادة والاجلال المحفوف بصنوف الملك الأعلى ، مصر وليس (والى مصر) وزبرم (وزير) محمد على باشا أدام الله تعالى اجلاله) .

كما نجد محمد على يتبع ذلك فى مخاطبته لكبار موظفيه فمن خطابه الى محافظ الاسكندرية ورئيس جمرك رشيد (افتخار الاماجد والاكارم جامعى المحامد والمكارم المختصين بمزيد عناية الملك العالى رجال دولت عليه مدن مصر دفتر دارى محمد صالح ...)

ونجده يخاطب ابن أخته بقوله (سعادتلو بكتم حسين بك حضرتلرى) سعادتلو صاحب السعادة — بكتم — ابن أختى — حضرتلرى — حضرات . ومن الغريب أنه كان يثبت فى الدواوين أسماء بعض المبعوثين منسوبة الى أمهاتهم فى السجلات والقرارات الرسمية مثل (على أفندى ابن الحرمة فاطمة) .

وكانت لغة الوقائع المصريةبالنسبة للمقابلات الرسمية وخلع النعوت على موظفى الدولة تجرى على المنوال السابق فى ذكر أسماء من يحضرون الاحتفالات الرسمية أو فى القرارات الادارية التى تصدر فى شأن هؤلاء الموظفين .

على أن الأمر فى تعظيم موظفى الدولة لم يكن فى كل الحالات بل كان يسميهم المستخدمين وعبيد الاحسان كما أن معاملته لهم كانت صارمة تصل الى حد الجلد بالكرباج ، والضرب بالنبوت على الالية لمن يخطىء اخطاء ادارية وقد حدث مرة أن أخطأ ناظر احدى المدارس فى أداء واجبات وظيفته فعاقبه بالجلد خمسمائةبالكرباج مع الفصل من العمل . ورد فى ديباجة الفصل الثالث من قانون (السياستنامة) الصادر فى ربيع الأول ١٢٥٣هـ (فاذا كان المستخدمون بالمصالح الأميرية من كبار وصغار لم يوفوا حكم اللوايح والقوانين كما هو الواجب عليهم ، أو يفعلوا شيئا مخالفا للشرف الانسانى أو لشروط

العبودية فيلزم أن يجـازوا بجزاهم اللايق بهم لأجل أن يكون تأديبا لهم وعبرة لغيرهم) .

هكذا كانت مواد القانون شديدة القسوة على الموظفين كبارهم وصغارهم .

الا أن المجال للغـة العربية فى الادارة بدأ يتسع فى عهد خلفاء محمد على ، وذلك لانتشار التعـليم ونشاط حركة الترجمة وبداية النهضة المصرية فى كل مجالات الحياة ، وان كانت هناك فترات مظلمة كاد يخبو فيها هذا الضوء خاصة بعد الاحتلال الانجليزى لمصر ومحاولة الاستعمار القضاء على الشخصية المصرية وعلى اللغـة القومية ولـكن تمسك المصريين بقوميتهم ولغتهم وشخصيتهم كان عاصما من هذا الظلام وتغلب الوطنيـون على كل الاغـراءات التى بذلهـا المستعمرون لاحتواء الشخصية المصرية والتأثير فيهـا واخضاعهـا .

وقد كان للانتفاضات الثورية التى قام بهـا المصريون لانهاء الاحتلال الانجليزى لمصر أثـر بارز فى توكيد الشخصية ومدها بالوقود والدماء التى تحفظها ويؤمن لها الحياة والنضال ، حتى نعمت مصر بالاستقلال والحرية وتبوأت مكانتها العالمية كمنارة اشعاع فى كل نواحى الحضارة علما ولغة وادارة .

ولقد بدأت لغة الادارة تنهض بعد ضعف كاد أن يؤدى بها وشقت طريقها فى استعادة مكانتها المرموقة وليعود الاشراق والوضوح والفصاحة الى أسـلوب الادارة وعرفت القوانين المصرية سلامة التراكيب وشـدة أسر العبارة ووضوح الألفاظ والدلالة الواضحة على المعنى المـراد ثم توسعت ترجمة القوانين من كل اللغات فزاد ذلك فى اثراء لغتها واقتـدار أفكارها وسـعة مدارك المشتغلين بهـا .

ولقد كان الفضل فى كل ذلك لكفاح المصريين وتولى كبـار الأدباء والذين حصلوا على أرقى الشـهادات الجامعية ومناصب الدولة العـليا فخلعوا من ثقافتهم وتجاربهم وسعة أفقهم على أسـلوب العبارة الادارية وكادت الادارة تتميز بلغة خاصـة بها تكاد تخلو من اللحن ثم كان لثورة يوليو سنة ١٩٥٢ وتمصيرها لكل نواحى النشاط فى مصر وانتشـار الجامعات المصرية فى ربوع الدولة كل ذلك أعاد الى لغة الادارة نصاعة الأسلوب وجمال اللفظ ووضوح العبارة.

والله المـوفق .